Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جداً لاقى الزجر والنكران والتقريع النقدي في أكثر من مناسبة، والسبب في ذلك يعود إلى أن الحالة المادية السيئة والظروف الاجتماعية البائسة هما معاً من كان يضطر سرفانتس إلى الكتابة المتعجلة الهادفة إلى إرضاء رغبات الآخرين ودوافعهم لا إرضاء رغباته الأدبية ودوافعه الباحثة عن الشهرة والحضور والتألق في الوسط الثقافي الأسباني. فقد ساير سرفانتس وهادن كثيراً في مجال الكتابة الأدبية خصوصاً عندما ارتضى لنفسه أن يكون كاتباً لنصوص وحكايات وضع عليها أسماء أشخاص آخرين دفعوا له المال لكي تصير لهم، وبذلك نسبها إليهم، وعندما كتب أيضاً نصوصاً عاطفية إرضاء لرغبات الفتيات الأسبانيات اللواتي دفعن مقابلها المال القليل الذي كان سرفانتس بحاجة إليه لينهض بشؤون أسرته الكبيرة.

وقد صادفت حياة سرفانتس الأدبية وكتاباته عقبات كبيرة لازمته إلى أن توفي، كان من أبرزها عدم قناعة نفر من الأدباء المتحكمين بالشأن الثقافي آنذاك بموهبته أولاً، وكراهيتهم له كشخص وككاتب ثانياً؛ وذلك لأنهم اتهموه بالتزلف لأصحاب المقامات العالية طلباً للارتزاق من جهة، وطلباً للأضواء والشهرة من جهة ثانية (وهو، حقيقةً، ما كان يطلب سوى العائد المالي لكي تستقيم حياته الاجتماعية أو تتحسن على نحو ما)، وحجة هؤلاء النفر من الأدباء المعروفين تنحصر في قولهم بأن النصوص الأدبية التي كتبها سرفانتس هي نصوص ضعيفة من الناحية الفنية، كما أنها مبتذلة تتناول موضوعات غير نبيلة في قيمتها وقيمها معاً، وأنها غير مصفاة، وشعبية أكثر مما ينبغي، أي أنها لا تتخير قدر ما تجمع، ولا تتروّى قدر ما فيها من طيش ورعونة، ولذلك فهي لا قيمة لها لأن ما يعرفه العامة أو ما يتناقلونه من أخبار وحوادث مساوق لها في الأسلوب والبلاغة والرؤية، وهي كتابات تخصّ جمهور الفئات المطحونة بمشكلاتها المتعددة المتكاثرة.

والحق، أن في هذا التوصيف، وتلك الإشارات التي أوردها منتقدو أدب سرفانتس الكثير من الصوابية، فقد كان الرجل كاتباً مهملاً لأوليات الواجب الكتابي، إذ من النادر عنده أن يعيد قراءة ما كتب، ومن النادر أيضاً ما أعمل موهبته وثقافته من أجل إسقاط الشوائب والنوافل من نصوصه، وبسبب من هذا الإهمال كانت كتاباته جميعها تشكو من الاختلال الفني، وا لانقطاعات في أحداثها، وغياب الشخصيات الفجائي، وأغلاط اللغة الكثيرة المختلفة في أنواعها، وتداخل الأساليب والأحداث، وكل هذا يعود إلى علة لها رؤوس عدة من أبرزها